رانية قوص ونقادة
قباط الأرثوذكس

قد اقترب منكم ملكوت الله



بقلم الراهب
متياس الصمو ئيلي

مراجعة نيافة الحبر الجليل
الأنبا بيمن
أسقف نقادة وقوص

مطرانية قوص ونقادة للأقباط الأرثوذكس

كاتدرائية أول الشهداء بقوص

قد اقترب منكم ملكوت اللّه.

بقلم الراهب

متياس الصموئيلي

مراجعة

نيافة الأنبا بيمن

أسقف نقادة وقوص

الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

اســـم الـكـتـاب: قد اقترب منكم ملكوت الله.

الـــمـــؤلـــف: الراهب متياس الصموئيلي

تصـــميم الغلاف: م جورج جبرة

التصميم الداخلي: رأفت فهيم عطيتو

الـمـطـبـعـة: أ مدحت حنا

الـــطـــبـــعـــة: الأولى مارس ٢٠١٣

النشر الالكتروني: نوفمبر ٢٠٢١

الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م



صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم

الأنبا تاوضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل

الأنبا ساويرس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء المحرق العامر



نيافة الحبر الجليل

الأنبا باسليوس

أسقف ورئيس دير الأنبا صموئيل المعترف العامر



نيافة الحبر الجليل

الأنبا بيمن

أسقف قوص ونقادة وكل توابعهما
ورئيس دير رئيس الملائكة ميخائيل العامر
ببرية الأساس



مثلث الرحمات نيافة الحبر الجليل

الأنبا كاراس

أسقف عام المحلة الكبرى وكل توابعها

مقدمة

لا أعلم كم من الزمن، عشرات أم مئات أم آلاف السنين على ذلك الصمت، وأخيرًا قالوا: لماذا أقلقتنا بإصعادِك إيانا؟! ألم نقل مرارًا ''قوموا يا بني النور لكي تسبحوا رب القوات'' فنحن في غاية الندم حيث إننا لم نفعل ذلك أبدًا لأن العُمر الذي يُحسب للإنسان هو **ما يصرفه في التسبيح فقط وبناء المذبح.**

إمضاء

عظام القبور

الرب يبارك هذا العمل لمجد اسمه القدوس،

بشفاعة والدة الإله القديسة مريم

وصلوات صاحب الغبطة والقداسة

البابا المعظم الأنبا تاوضروس الثاني

وشركاءه في الخدمة الرسولية

نيافة الحبر الجليل الأنبا ساويرس

أسقف ورئيس الدير المحرق العامر

نيافة الحبر الجليل الأنبا باسيليوس

أسقف ورئيس دير الأنبا صموئيل المعترف

نيافة الحبر الجليل الأنبا بيمن

أسقف قوص ونقادة وكل تخومهما

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين

المؤلف

الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

ولكن اعلموا هذا أنه قد اقترب منكم ملكوت الله (لو ١٠: ١١)

اعلموا هذا أي افهموا هذا، اِعقلوا هذا، أي فكروا بتعقل وفهم ووعي وتدبير حسن وتدقيق بلا حدود، إن الأمر في غاية الأهمية، إنه المصير الأبدي والغاية العُظمى والهدف الأوحد والأسمى.

اعلموا هذا أي احترزوا لأنفسكم من كل شيء لأجل هذا (ملكوت الله) احترزوا من كل علم ومعرفة، من كل قول وفعل، ليتكم تجهلون جميع المعارف لأجل معرفة أسرار ملكوت الله، وهذه هي المعرفة الكاملة. [١]

لذا... لتنظر أعيننا على الدوام إلى المصلوب مثل اللص اليمين، حتى لا ننزعج من ضجيج صالبيه، وتقدر آذاننا أيضاً أن تميز الصوت القائل "اليوم تكون معي في الفردوس" ولكي لا ننشغل كذلك بالشجرة المحرمة، أو أرض سدوم ودليلة فلسطين. وإن معرفة هذا (ملكوت

---

[١] إن المعرفة المقصودة هي التي أشار إليها سليمان الحكيم " الذي يزيد علما يزيد حزنًا " (جا ١: ١٨)

الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

الله) تستحق منا ألا نعرف شيئًا آخر، وإنني أتساءل هل يوجد أيضًا وقت لمعرفة أخرى لو كنا بالحقيقة نحن منشغلين بأسرار الملكوت؟ لقد خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية، هذا هو القانون الذي وضعه القديس بولس الرسول "خسارة كل الأشياء مقابل ربح المسيح" !

ولكن اعلموا هذا إنه قد اقترب منكم ملكوت الله، هذه رسالة تشجيع وتعزية وطمأنينة وتشويق للبعض، وتخويف وتحذير وتنبيه للبعض الآخر، **لكن وباختصار ماذا ينبغي أن نفعل تجاه هذه الرسالة مهما كان وقعها علينا؟**

اسهروا، اسهروا من أجل هذا الكلام (ملكوت الله)، أي مراقبة الإنسان لأفعاله وأقواله ومراجعتها على ضوء الكتاب وأقوال الله.

اسهروا،

وكيف تنام بينما سرير المستشفى هناك في انتظارك كي تقضي عليه أيامًا كثيرة وأمراض الكِبَر وسِقَم الشيخوخة؟!

أيام وليالي وساعات صعبة للغاية في دار المسنين، إنه مصير محتوم في انتظار الموت، وأين المهرب والمفر؟

فإن لم تأخذ الله معك منذ وقت مبكر عملًا بقول الكتاب ''الذين يبكرون إليَّ يجدونني''، فأمراض الشيخوخة والوحدة، وأيضًا العصيان والبُعد القديم، كل ذلك ينبئ عن جحيم مُبَكِّر وخلود أليم وأبدية مُرعبة، وما معنى ''في العشاء يحل البكاء''؟ (مز ٣٠: ٥)

آه يا سيد، وهل تستطع **الآن** أن تقول بفرح ''لي اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدًا''؟ (في ١:٢٣)

وإن لم يكن كذلك، فإلى أين أنت ذاهب؟ وأي أمل لك أو رجاء ينتظرك هناك؟ **فلابد أن تكن مطمئنًا جدًا لمستقبلك الأبدي قبل وصولك إلى ذلك الزمان.**

وماذا أيضاً عن قول الكتاب" الصديق فواثق عند موته " (أم ١٤: ٣٢)

وآه منك مرات ومرات يا سيدي سمعان الشيخ العجوز الطاعن في السن والكِبَر، لم تقدر أن تصرخ قائلًا" الآن يا سيد تطلق عبدك بسلام حسب قولك "إلا عندما أخذت المسيح في حضنك، وضممته إلى صدرك. وما فعلتَه هو قمة الفلسفة الروحية، لأنه بمثابة ترمومتر قياس الطمأنينة للمستقبل الأبدي ورجاء القيامة !!

وكيف يتم لك أنت ذلك، وباختصار وفي كلمات قليلة، ليتك تصغي مرة لتبكيت الروح القدس، الذي يصرخ داخلك من قديم الزمان قائلاً: قم أسرع واذهب إلى هناك، إلى الهيكل حيث أن إله سمعان الشيخ لا يزال في انتظارك، مهما تقدمت بك الأيام وأخذتك السنون، لا تخف قط، إنه إله عجيب لا ينتظر سوى الخطاة فقط، وماذا لك بعد؟!!

اسهروا،

وكيف تنام أيضًا بينما داود النبي الطاهر هناك في الحجرة المجاورة يبكي، الملك يبكي وها قد بلل فراشه بدموعه، ولعل ما يلفت النظر في هذا، أن الفراش للبكاء أيضًا والنوح!

فقم يا سيدي كفاك نومًا ونُعاسًا، قم اسهر ونُح الآن قليلًا لكي تنجو من الصراخ والنواح الدائم، النواح الأبدي...

ولمَ لا؟ لعل الله قد أودع في مآقينا الدموع لهذا الغرض فقط.

ولأن دموعنا تستمد قوتها من الجنب المطعون، فصاحب الدموع المسكوبة يسمع كل يوم يا أبتاه اغفر لهم....!

اسهروا،

وكيف تنام بينما هناك عظام القبور تصرخ محذرةً إيانا من النوم، وها هي تُقلِق مضاجعنا كل حين، **احترزوا.**

فنتســـاءل في غرابة، ولماذا يا عظام القبور تحذرون أنفسنا هكذا؟

فتُجيب.. قوموا يا بني النور سـبحوا رب القوات، إننا في حزن عظيم وندم شديد لأننا لم نسهر، وقد أخذَنا التهاون وضـاع العمر في الباطل، ولم نفعل شيئًا من ذلك أبدًا، وها قد ربحنا الهلاك وخسـرنا كل شـيء، والآن فقط قد علمنا أن العمر الذي يحســـب للإنســـان هو ما قد قضاه في السهر وأيضًا الصلاة.

أليس مكتوب في ناموســـكم ليس في القبر من يذكر ولا في الجحيم من يشكر؟

اسألوا أيضًا إبراهيم أب الآباء والذي كان ينصب خيمة للعمر وحياة الغربة ولا يهتم بذلك كثيرًا ؛ لأنه كان يعلم تمامًا أنه لا رجاء أبدًا في خيمة ســتُهدم قريبًا، بينما للحياة الأبدية والدهر الآتي كان يبني المذبح !

اسهروا،

وكيف تنام وها أبونا يعقوب الرســـول يصـــرخ متسائلًا ”ما هي حياتكم ؟“ (يع ٤:١٤)

وهو سؤال له مغزى ومعنى، حيث أن الرسول يعرف تمامًا بأن حياتنا كبخار، ولكنه يتساءل في ذهول متعجبًا، وفي غاية الغرابة أيضًا، وكأنه يريد أن يقول: وهل يصح أن تسعون هكذا يا مَن تُصنَّف حياتكم كبخار، وكأنكم أيضًا سوف لا تموتون قط ولا ستحاسبون أبدًا؟!

وكأنما يقول أيضًا أن هذا الجري الكثير، وذلك البُعد في القرى النائية، وحياة الخرنوب وعيشة الخنازير، لا تتناسب قط وهذا العمر القصير.

وإنني أتساءل أيضًا، ومتى ستعودون، وهل للعمر أن يمنحكم بطاقة عودة، وكلنا يعرف أن الذي يتركه الموت يصطاده المرض؟!

وهل تريد أن تقنعني بأن الذي لم تقدر أن تفعله في زمن القوة "**السهر**" تستطع أن تفعله في سني المرض والشيخوخة والضَعف؟

فقُم **الآن** ارجع واسهر، لأن هذا العمر قد أُعطي لأجل عمل واحد فقط، ليته يكفي **للتوبة** !!

قم يا سيدي ارجع وتب سريعًا واسهر... لماذا؟

الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

✠ لأن طول المدة في الخطية يعطيها أحقية في عدم ترك المكان، على غرار القانون المدني (المدة الطويلة المكسبة للملكية)

✠ طول المدة في الخطية أيضًا من شأنه أن يُمرض جهاز المناعة المقدس بل ويقتله، حيث أن البُعد عن مصدر القوة وعصارة الكرمة يجعل الغصن يجف، لأن في البعد موت، ”ابني هذا كان ميتًا“ (لو ١٥:٢٤)

وهذا ما حدث بالفعل أيضًا مع شمشون، لقد قام وانتصر وفاق من سُباته ولكنه لم يبرح أرض الغربة (فلسطين) وولم يترك مُناخ الشر وركبتي المستهترة، فسقط ومات سريعًا. [٢]

✠ طول المدة في الخطية ربما يجلب اليأس أيضاً على النفس البشرية، ويعطي مناعة ضد التوبة، إذ كيف بعد كل ذاك الزمان وتلك السنون، والبُعد وطَعام الخنازير الذي ملأ المعدة جوعًا، يمكن العودة مرة أخرى؟

---

[٢] نعم لقد تاب وذُكر ضمن رجال الإيمان وهذا يقطع الشك باليقين (عب ١١:٣٢) .

✠ لعل من مراحم إلهنا، أنه قد جعل الخرنوب لا يكفي لنا وللخنازير، حتى نعود سريعًا لخبز الحياة، ولنعلم جيدًا أن طعام الخنازير لا تهضمه معدة أولاد المسيح !

✠ لا يصح أبدًا ولا يصلح قط أن نؤجل عمل العمر كله ''التوبة'' ليُختزل في آخر سني الحياة، لأن هذا يُعد إهانة أيضًا لله !

إن القديسين الذين يعيشون بلا لوم نراهم لا ينامون قط، وها أبونا الأنبا بيشوي الذي كان يربط شعره في سقف القلاية، لكي لا يعطي عينيه نُعاسًا ولا لصدغه راحةً، وهذا ليس عِقابًا أبدًا للجسد بل لإعطائه فرصة أكبر ليتمتع بالله، وأيضًا كانت لا تمتلئ بطونهم بالطعام أبدًا ولا أمعائهم بالخبز، وإن العطش إلى البر لا حد له ولا نهاية، فماذا ينبغي أن نفعل نحن أيها الإخوة؟

وعلى غرار قول الكتاب ''إِنْ كَانَ الْبَارُّ بِالْجَهْدِ يَخْلُصُ، فَالْفَاجِرُ وَالْخَاطِئُ أَيْنَ يَظْهَرَانِ؟'' (١بط ٤: ١٨)

اسمعوا أيها الأحباء، تقابلت مع أحد الأباء ولقد وجدته يتمتم قائلاً :''معقول يا رب'' وأنا بدوري سألته، وما هو غير المعقول؟ فصمتَ ولم يُجبني أبدًا، و أخيرًا قطع صمتَه قائلًا حاللني يا أبي إنه اعتراف ولا أقدر أن أبوح به أبدًا، فقلت له من أجل اسم المسيح أعطني تعليم ولا تَبُح قط بالسر، فقال تقابلتُ مع إحدى الراهبات والتي تعترف على يدي، ووجدتها متأثرة جدًا وهي تقول لي سامحني يا أبي وحاللني أخطيت، تكلمي يا أمنا، فقالت إنني حينما أذهب لكي أشرب، كثيرًا ما أشرب حتى الشبع، وفي تلك اللحظة دارت بي الدنيا وكأني فوق الجلجثة تحت الصليب، وأنا أسمع يسوع يصرخ أنا عطشان، ولم يقدر أبي الكاهن أن يقل أكثر لأننا بكينا!

وها هي امرأة تموت جوعًا وعطشًا، ترى هل أنها مجنونة أم أن البِر الذي تنشده يعطي أرتواءً وأيضًا شِبعًا؟

وللعلم والمعرفة أيضًا إنه من السهل جدًا الآن أن نصطلح مع الله، ونرجع ونسهر ونقوم، لأن الوقت

مقبول، بينما لو إننا انتظرنا للغد فيكون ذلك للمحاكمة فقط، والوقوف أمام الديان العادل لا غير. تُرى أيهما أفضل وأقل خسارة لو جازت المقارنة؟

تعالوا معي في خيال توبة، لنذهب معًا ونسأل سُكان الجحيم، لماذا أتيتم إلى ههنا؟! عمومًا وبعد أكثر من لقاء خرجت بالآتي: وجدت أن الكثيرين منهم جاءوا إلى ذلك المكان كعقوبة، يا للحسرة ليس نتيجة لرفض التوبة أبدًا بل بسبب التأجيل فقط !

اسهروا،

وكيف تنام بينما هناك الجاهلات أيضًا يصرخن، وها هي أصواتهن تدوي من قديم الزمان وآلاف السنين، ولازلنَ حتى اليوم، وكأنهن يصرخن الآن؟

ولمَ لا؟ وصراخهن هو حديث الساعة عند الحكماء والسهارى، أنه يحمل الماضي ويحوي الحاضر والمستقبل، بل والعمر كله والدهر الآتي بأكمله.

"يا ربنا يا ربنا افتح لنا..." (مت٢٥ : ١١)

وإنني أتســـاءل، وأين كنتن كل ذلك الزمان، زمن الرحمة والباب المفتوح، سني التوبة وأيام الافتقاد؟!

وما الذي كان يشـــغلكن ويأخذ أبصـــاركن إلى الوراء طوال العمر، حتى إنكن لم تنظرن قط إلى البـاب الـذي قـال عنه الكتـاب "هـا قـد جعلـت أمـامـك بابًا مفتوحًا" (رؤ ٣:٨).

وإنني أعلم تمامًا أنه ضـــيق وكرب الطريق المؤدي إليه، وقليلون الـذين يجـدونه، لكنه في النهـاية يؤدي إلى الملكوت !!

وهـــل كن لا يعلمن أنـــه حينمـــا يُغلق البـــاب لا يستطع أحد أن يفتحه؟

بصـــدق نحن الذين نغلق أبواب الســـماء على أنفســـنا، من ههنا على الأرض بكثرة شـــرورنا، ألم يفتح إيليا كوى السماء بكثرة بره بينما كان تحت الآلام مثلنا؟

فلو لم نأخذ نحن أيضًا من صراخهن عبرة وعظة، لنسهر كي لا نسمع ذلك الصوت بعينه، صوت الفادي إنني لا أعرفكم.

ليتكم تنظروا إلى الوراء قليلًا، وتتعلموا الدرس وتفطنوا له جيدا [٣]

وها هو فرعون يصرخ، ينادي يوسف تعال يا ابن يعقوب فسر لنا الأحلام، كفى وأخرج الآن من سجنك، لأن الوقت قريب والحياة كبخار والهلاك قادم، أسرع وعرفنا كيف نهتم بالغد، لئلا نموت وشعبنا جوعًا؟

وماذا نفعل أيها الحكيم لكي نحيا ولا نهلك بعد يا سيدي؟

فبنى يوسف المخازن، وملأها بالحنطة والخير والطعام، لبقاء الناس والبهائم على قيد الحياة لسنين

---

[٣] ✠ الحكيم يتعلم من أخطاء غيره

✠ النصف ذكي يتعلم من أخطائه

✠ الذي لا يتعلم أبداً لا نجد له تصنيف قط

الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

كثيرة، وها قد اجتهدوا كثيرًا لأجل عمر قصـــير وحياة فانية، فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصًا هذا مقداره؟

فها هي المصـابيح منطفئة الآن، والآنية التي معنا تحتاج لأن تمتلئ أيضا، لزمن الجوع والسنين العجاف، ها هي الخزائن فارغة، والآنية لا يوجد فيها ما يعطي حياة للغد، ولا شيء يطمئن قط، وها الغد قريب والدهر الآتي ليس بعيدًا أبدًا، والأبدية أيضًـــا مخيفة، والغريب أن كلنا يعلم ذلك تمامًا !!

آه، ســـتأتي أيام صـــعبة، يقول الرب وســـوف لا ينجو منها سوى من كان مصباحه مضيء وآنيته أيضًا ممتلئة.

لنســـهر إذًا لنملأ المصـــابيح وكل الآنية التي معنا بالخير؛ حتى نجد أيضًـا رحمة في حينه، ولا نصـير بعد عارًا يوم الدينونة.

إن مصـابيحنا تحتاج إلى جسـد الرب ودمه، وها هو أمامنا كل يوم على المذبح، ينادي خذوا كلوا كلكم ولا أحد يمنع عنا ذلك..

مصابيحنا تحتاج لأن تمتلئ أيضًا بالمزامير، وها هي الأجبية أمامنا كل حين ونحن لا نعي، ترى في أي شيء نصرف نحن حياتنا وسني العمر إن لم نُصلِّ؟ فهل للآن لم نُعطِ أنفسنا فرصة لكي نختبر قوة الصلاة وقدر الاحتياج إليها؟

لا مجال لأن نتكلم عن أهمية الصلاة الآن، لكنها العمود الفقري للحياة الروحية شئنا أم أبينا.

وكما قال القديس مار اسحاق السرياني" مخدوع من الشياطين من يظن أنه توجد طريق للتوبة غير الصلاة "وعلى ضوء ذلك، يكون من سمات وعلامات وصفات رجل الله، أنه بالأول رجل صلاة.

نحتاج أيضًا لأن تمتلئ مصابيحنا بكلمة الله، وها الإنجيل أمامنا مسموع ومقروء ومرئي، وبدونه نحن سنظل جياع ونفوسنا خاوية؛ لأن حياتنا ليست بالخبز وحده.

إن مصابيحنا تحتاج إلى كِسرة خبز يابسة توضع في يد المسيح، أقصد الفقير، وها هم الفقراء معنا كل حين، و لعل الله قد جعلهم أمامنا لهذا الغرض والخير

أيضًا يكفي ويزيد، ولماذا إذًا يصرخ الكاهن في أوشية الثمار، بارك إكليل هذه السنة بصلاحك **من أجل فقراء شعبك، من أجل الأرملة واليتيم والغريب والضيف؟** فنحن نطلب أن يزداد الخير عندك من أجل الفقراء الذين هم عندنا (إخوة المسيح الأصاغر).

آه يا سيد، فإن لم ينصرف العمر في هذا كله، فبصدق ما هو الشيء الأهم من الحياة الأبدية والدهر الآتي كي نضع عليه رجاؤنا؟

إن العمر فرصة لن تتكرر. وقد أُعطي لأجل عمل واحد وهو أن نملأ المصابيح. فكم نكن نحن أيضًا أغبياء وغير عقلاء بالمرة لو لم نفعل ذلك، ويُغلق الباب ونحن خارجه، بينما لا يوجد مبرر واحد فقط لذلك، وكيف لا نكن أيضًا مع المسيح وذاك أفضل جدًا؟!

اسهروا،

وكيف تنام أيها الوكيل؟ ألا تعلم أنك لا تملك شيئًا قط مما هو عندك، وستُقدِّم أيضًا عنه حسابًا يوم الدين بل ومعه ربح؟!

ما هذا الذي اسمعه عنك، أعطِ حساب وكالتك؟ (لو ١٦:٢)

لعل الله قد غرس الأذن فينا، لكي نسمع هذه العبارة المقدسة مئات المرات في اليوم الواحد، لننشغل بها، ولنعلم أيضًا قدر المسئولية الملقاة علينا تجاه ما هو بين أيدينا.

لأننا بالطبع سنُسأل عن الأولاد الذين يُسمون في عُرف هذه الحياة أبنائنا، وإن كانت هذه التسمية قد جانبها الصواب كثيرًا؛ حيث أنهم أولاد الله، وما نحن إلا وكلاء على نعمة الله فقط وعطاياه. "البنون ميراثًا من الرب وثمرة البطن عطية منه" (مز١٢٧:٣).

فابنك هذا الذي يسهر كثيرًا، لكن بعيدًا عن الجو المقدس والوسط الروحي والمناخ الصحي، أين أب اعترافه، أين أشبينه، متى أيضًا وكيف أحزن ملاكه الحارس؟

اِسأل يا سيدي عن كل هؤلاء وأين ابنك من الجميع؟

وماذا تعرفين أنتِ أيضًا عن اِبنتكِ، والتي هي جالسة الآن أمام الانترنت والقنوات البعيدة؟ ساعات وساعات والباب عليها مغلق، سكون وسكوت وظلام من كل ناحية.

ترى ماذا تفعل هناك، وماذا تقول، ومع من هي تتحدث بينما الذئاب الخاطفة تملأ الهواء وكل المكان؟ [٤]

ليتك تتذكرين أيتها الأم الفاضلة قول الكتاب "**أعطِ حساب وكالتك**".

وللعلم... أن كثرة خصوصيات الأبناء، واختباءهم في خنادق مظلمة، تأتي حينما يمرض الوِد ويموت الحوار في الأسرة، وينشغل كُلٌ بنفسه. إن الأبناء الآن يحتاجون إلى قدر كبير من المصارحة والمصالحة، يحتاجون إلى قدوة ومثال وليس لعظات وأمثال، يحتاجون

---

[٤] – لماذا يغلق الأبناء التليفون المحمول والكمبيوتر بأرقام سرية (Passwords)؟

– لماذا هذا التضليل والتعتيم على الأباء؟

– ترى من السبب أيضًا يا ترى في كل ذلك؟

أيضًـــا (وهذا في غاية الأهمية) إلى تواصـــل وفتح باب للحوار، وطريق للعودة ومجـال للود، مرات ومرات حتى يعودوا إلى الرشـد والمنزل. نعم ليس هم غرباء عنه، لكنهم أيضًا متغربون عنا!!

ليتنا نتفهم نحن هذا الأمر، ونعي أيضًـــا أننا في زمن يختلف كثيرًا عن زماننا والماضي كله.

عمومًا قس على ذلك أيضًـــا كل ما هو عندك، مواهبك، صـــحتك، مالك، وقتك، تذكر دائمًا هذه العبارة المقدسة ''أعطِ حساب وكالتك''.

اسهروا،

وكيف تنام ولمن يا ترى تترك المكافأة والتطويب؟!

إذ يقول الكتاب طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين، الحق أقول لكم أنه يتمنطق ويتكئهم ويقوم فيخـدمهم (لو١٢:٣٧)، قـام القـدوس ليخدم التراب، ورئيس الحياة يهب الأموات قيامة.

ما هذا أيها الفادي؟

ترى ما هو السـهر الذي يؤدي إلى تلك المكافأة العظيمة؟

"... **يتمنطق و يتكئهم ويقوم فيخدمهم**"، أي أعين تغمض بعد، وأي أجفان تنام، وبـأي مآقي ننعس، بينما السيد يقف ليفعل بنا هكذا؟ وما هو السهر، وهل المطلوب ثقيل وليس في متناول أيدينا؟

لقد أختزل السـيد المسـيح جميع الوصـايا وكل الناموس في عبارة مقدسـة واحدة "تحب الرب إلهك وقريبك كنفسك"

والتطبيق العملي لهذا إن السـيد الرب لا يحتاج منك سوى **مزود بقر فقط**، ولقريبك

فَلسي الأرملة،

كأس ماء بارد،

خبزة شعير،

ذاك يزيد.

...صـحيح إن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم، إن الله يُقـدر الجـانـب الإيجـابي أي

التصـــرف الحســـن في هذا المثل (وكيل الظلم)، لا يمتدح العمل بل الفكر والفكرة، وفي عجالة أعرض قصـة الملك الصغير ربما توضح القصد في هذا الأمر.

...وبعد إلحاح كثير قَبِلَ الشاب الصغير أن يملك على مدينته، وهو يعلم تمامًا أن هذا الـمُلك لن يدم أكثر من عامٍ واحدٍ، وبعد يُطرح في مكان قفر، لا تراه شمسُ في وضح النهار، وبعد أن أُعلِن تتويجه ملكًا، قام مباشرةً يسـأل مشـيريه عن المكان الذي سـيذهب إليه بعد نهاية ملكه وأيام خدمته، وهناك رأى ما تقشـــعر له الأبدان، حيث عظام الملوك سـابقيه وجماجم لا حصـر لها، ورائحة الموت تحيط بكل المكان، غربان وجرذان كثيرة محتشـــدة لاسـتقباله، حيات وأفاعي، شـيء مرعب ينبئ بمسـتقبل مؤلم وموت مبكر، نزل من هنـاك يلهـث ويســـأل عن خزائن وموارد مدينة مُلكه، وبدأ يخزن لزمن الجوع وللسنين العجاف، لقد ذهب بكل شـــيء إلى هناك، إلى الجبل والقفر، إلى مكان الموت وقبور الملوك، حيث المســـتقبل الـذي ينتظره، وبنى هنـاك وغرس جنـات وفراديس، لقـد

عمل كل ما يتطلبه عصـــره ورقي المدينة آنذاك، لكنه لم يتخيل أبدًا ذلك وكأنه فوجئ بانتهاء العام وســـنة مُلكه ومدة خدمته، غير مصـــدق قط، وتســـاءل في غرابة شـــديدة، وهل بالفعل انقضـــت المدة وانتهى العام منذ توليتي المسـئولية أول أمس؟ وهكذا قال معبرًا عن سـرعة زوال العمر وانتهـاء أيام الحيـاة وهـذا الـدهر كلـه، وقـام وذهب إلى هناك سريعًا غير آسف ولا أسيف، ذهب إلى المدينة الباقية والمستقبل الأبدي !!

وليفهم القارئ

اسهروا،

... يا رب إن دينونتك لمرهوبة، إذ تُحشـر الناس، وتقف الملائكة، وتُفتح الأســفار، وتُكشـــف الأعمال، وتُفحص الأفكار، أي إدانة تكون إدانتي أنا المضـــبوط بالخطايا؟

أي أنه يومٌ مرهوبٌ، لا يوجد هناك جبال قط أو آكام كي تسـقط علينا أو تغطينا، كل ما حولنا يكشـفنا أكثر ويعرينـا بزيادة، حيـث أننـا قـد ذهبنـا إلى هنـاك

بلا نعمة ولا ثوب العُرس، إن الأمر جد خطير، وهل بعد معرفتنا لكل ذلك تتجاســـر الأعين أن تنام أو يأتي إلى المآقي نعاس؟

لكن مالك أنت لا تزال نائمًا بينما الخطر يحدق من كل ناحية، وها هو إبليس عدوكم يجول كأســـد زائر ملتمسًا أن يبتلعكم؟

مسافرو ترشيش يسألون في غرابة، لماذا أنت نائم وها هي السفينة التي تُقلَّك مضطربة وتكاد تنكسر؟

قم أنظر إلى اســـتير الابنة الغريبة في شـــوشـــن القصر، وكيف خَلَّصت شعبها من مؤامرة هامان الشرير بصيام وسهر وتعب.

قم انظر إلى اللص اليمين، الذي بلا ماضٍ يُذكر ولا حاضـــر يُطمئن، ولكنه عرف أن يصـــنع مســـتقبل أبدي؛ لأنه كان أمينًا فقط حينما عرف المسـيح في تلك الساعات القلائل.

قم أنظر إلى موسى الأسود المجرم، وكيف صار أبًا لبرية ومرشدًا للرهبان، حينما حسب كل الأشياء نفاية،

وقد أدرك أيضًا أن كل آلهة الأمم لا تملك لأحد ضمان بعد الموت، حيث أنها بلا حياة.

قم أنظر إلى مريم القبطية، صاحبة التاريخ المؤلم والسلوك المشين، وها هي تحلق وتصول وتجول في سماء القديسين، لأنها علمت تمامًا أن كل من يشرب من ذاك الماء يعطش أيضًا.

ربما لأجل ذلك تسمى كنيستنا "جامعة" لكن هل لأنها تجمع بين إيمان الماضي ومواكبة كل العصور؟ أم أنها لا تخاطب فكر معين ولا جماعة بل العالم كله؟ هل لأنها تجمع أيضًا من كل لون وجنس، شباب وكبار، ملوك وعبيد، أغنياء وفقراء؟ ألا يعطي لك كل هذا رغبة وتشجيع وتشويق، عموما أيًا كان ذلك فإنه يؤكد أن لك أنت أيضًا مكان، فقم وارجع سريعًا كفى غربة، من أجل أبديتك، وأولادك، ليتك سمعت كنيستك وهي تصرخ حبيبي خرج فأنَّت عليه أحشائي، فنحن في حاجة إلى دموعك ورفع يديك، نحن في حاجة إلى صلاتك وانحناء ركبتيك.

فأنت أحد الأبرار الذي يبحث عنه أبونا إبراهيم كي يشفع في أهل سدوم، قم ارجع لأن الله ينظر إليك كتائب ليرحمنا نحن الخطاة، لا يصح أبدًا يا سيدي أن يكون النور ظلامًا وملح الأرض يُطرح خارجًا.

اسهروا،...

لقد اقتربنا من المكافأة، وقد أصبح الملكوت على بعد قريب، تُرى أيضًا كم من العمر باقٍ وبعد نرث الحياة الأبدية، على أقصى تقدير لإنسان مولود اليوم؟

مائة سنة مثلًا؟... وأيضًا قليلة ورديئة، ولا يجعلها غير ذلك سوى النظر الدائم لشخص المسيح، وتذكار ملكوت الله. وهذا أيضًا يجعلها مقدسة، بل وجزء من الأبدية والدهر الآتي كله.

اسمعوا القديس بولس الرسول وهو يتغنى ويترنم مشجعًا إيانا إذ يقول:

إن خفة ضيقتنا الوقتية

تنشئ لنا أكثر فأكثر **ثقل مجد أبدي**

أي لو كان كل العمر اضطهاد، وضيق، وجوع، وألم، وتعب، وحزن، ومرارة، كل ذلك لا يسمى سوى خفة ضيقتنا الوقتية بالنسبة للمكافأة غير المتكافئة.

وما معنى ثقل مجد أبدي، إلا وباختصار شديد، ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على بال إنسان، لأن ذاك المجد الذي ينتظرنا لا توجد له صياغة بقلم بشري ولا لسان إنسان، شيء فائق الوصف، إنها الحياة مع الله باختصار وفي ثقة وعجالة.

اسهروا،

... ليت العمر لا ينصرف سوى في الحديث عن ملكوت الله والدهر الآتي؛ لكي لا نجد وقت نتكلم فيه عن هفوات أخواتنا وضعفات الناس وإدانة الآخرين، لا مجال هنا للحديث عن الإدانة، لكن لو لم نفعل شيئًا من الخطايا قط سوى أننا نُدين إخوتنا فنحن أشر جميع الناس.

(ثم من أنت يا من تدين غيرك؟ (يع ٤:١٢)، **أنت تراب، أنت كبخار، أنت خاطئ، والأكثر من ذلك لو فعلنا كل البر نصرخ "إننا عبيد بطالون")**

فلو أخذ منا الملكوت كل الحديث طوال العمر، أقول بيقين وكل ثقة، ونحن أيضًا نكون قد أخذنا الملكوت من ههنا على الأرض، لأن المسيحي الحقيقي يحيا الملكوت من الآن وسيكمل فقط في السماء، لأن السماء هي تكميل لما كانت عليه حياتنا على الأرض، أضف إلى ذلك المكافأة فقط.

والذي لا يشعر أنه يحيا الأبدية من الآن (على الأرض) فهو غير مسيحي إطلاقًا، لأن حياة الدهر الآتي تبدأ مع المسيحي عند خروجه من المعمودية، حينما يصير الله أباه والكنيسة أمه!

وهذا هو الميلاد الثاني الذي من فوق بواسطة الماء والروح، والذي بدوره يعطي عربون للملكوت والحياة الأبدية، ومن هنا تأتي النقطة الفارقة بين المسيحي وأي إنسان في البشرية، لذا ومن ههنا أن كل ما يحتاج إليه

البشـــر بعد الموت، هي الحياة الدائمة أي الراحة الأبدية، نعم ولا خلاف أبـداً على ذلـك لكن هـذا لا يملكـه إلا واحد فقط هو يسـوع المسـيح معطي الحياة، لأنه هو الطريق والحق والحيـاة، وليس بأحـد غيره الخلاص (أع ١٢:٤) فليت جميع البشـــر يعرفون هذه المعلومة من الآن وقبـل فوات الأوان، إنهـا معلومـة صـــحيحـة وأكيـدة ودقيقة!!!

لذا فحياة الأبرار على الأرض، هي مقدمة وخطوة أولى وبـداية للحيـاة الأبـدية وملكوت الله والـدهر الآتي كله.

اسهروا،

إن الله قـد أعطـاك هـذا العمر لاختبـار أمـانتـك وقياس محبتك له، وهل أنت أمين على حفنة تراب "العالم كله"، وحياة كبخار، أي العمر أيضًا؟

فإن لم نكن أمناء على المائة عام (أي عمر هذه الحياة) والذي يُصنف كبخار، فكيف يعطينا الدهر الآتي بأكمله؟

وأن لم نكن أمناء أيضا على حفنة تراب (أي هذا العالم الزائل كله) فكيف يعطينا الأبدية بكمالها؟

فإن الله يقيس أمانتنا من خلال هذا القليل الذي بين أيدينا (أي هذه الأرض وهذا العمر)، فإن لم نكن أمناء علي القليل فكيف يقيمنا على الكثير، فنحن ننال ذاك الكثير جدًا من خلال السهر القليل جدا، حتى لو لم ننم طوال هذا العمر كله!

اسهروا،

يا للحسرة على الذين ناموا وسُرقت منهم الحياة وضاع منهم الملكوت دون داعٍ أو شيء يُذكر...

لقد ناموا أيام السهر والجهاد، زمن العطش والصوم، سني التعب والجوع، أيام البكاء والنوح، أيام الزرع والدموع، ترى بعد ذلك في حقل من سوف يجمعون الأهراء ويقطفون الثمار؟! وها هم فقدوا كل شيء؟! ولكنني أتساءل أيضًا أين ذهبت كل تلك السنون وذاك الدهر؟ نعم لقد كانت أنظارهم متجهة تحت الأقدام، إلى هذه الأرض فقط، وأفكارهم نحو ذاك

العالم الزائل لا غير، فمن أين لهم الوقت أن ينظروا إلى الأبدية والدهر الآتي، فلماذا السهر إذًا؟!

... سنوات كثيرة وأيام لا حصر لها ذهبت في الخصام والبعد، تاهت في الحقد والحسد، تبددت في الباطل وقبض الريح، في الزينة الخارجية والاهتمام بالجسد والطعام البائد، وها هم سوف يسهرون لكن بعد فوات الأوان وضياع العمر، سيسهرون في عذاب لا يحتمل وأبدية غاية في الحزن والألم والتنهد، يصرخون ولا أحد يسمع؛ لأنهم لم يعطوا لآذانهم فرصةً لكي تسمع السيد الرب من فوق الصليب، وهو يصرخ ليغفر لهم ذلك كله!

الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

صدر من هذه السلسلة

(١) لن تموتا، هكذا قالت الحية

(٢) ردني كالقديم وجدد أيامي

(٣) من يطفئ لهيب النار عني؟

(٤) وأيضًا، أهي صراخ

(٥) مالك نائمًا قم أصرخ إلى إلهك

(٦) ساكنة القبر المجاور

(٧) أذللتُ بالصوم نفسي

(٨) اسمي مارين يا سيدي

(٩) قد اقترب منكم ملكوت الله

إن العمر فرصة لن تتكرر وقد أُعطي لأجل عمل واحد وهو أن نملأ المصابيح. فكم نكن نحن أيضًا أغبياء وغير عقلاء بالمرة لو لم نفعل ذلك. ويُغلق الباب ونحن خارجه بينما لايوجد مبرر واحد فقط لذلك. وكيف لنكن أيضًا مع المسيح وذاك أفضل جدًا ؟!